أبرار عاكف

أغمض عينيك..

تراني

كل مساء يجلس في مخدعه منتظرًا قلبها الحزين كي يأتيه لينام بين كفيه في وداعة عصفور جريح ينشد الراحة بعد أن أنهكه الطيران فوق بحر لم تأوِ إليه جزيرة أبدًا.

يشتم عطرها ملأ أنفاسه.. يسمع صوتها الذي لم يعرفه من قبل.. يهمس باسمها فيتوهج دفئًا رغمًا عن ليالي الشتاء.

يُسرع النوم ليثقل أجفانه متعجلا هو الآخر رؤيتها وهي تتسلل إلى أحلامه وتدنو منه كطيف ملائكي حتى تختلط أنفاسهما..

كان قد عاهد نفسه من قبل ألا يحبها، فالأحبة دائمًا ما يفترقون.

بحث عنها فى يقظته واحلامه حتى بات فى كل ليلة يستشعر حرارة قربها، ولكنها في تلك الليلة لم تأتى.. لم يجد ريحها ولا همس شفتيها ولا نبض قلبها.

يخرج هائماً على وجهه يجوب الطرقات المظلمة المحيطة بمنزله ليبدد ساعات الليل الطويل.. يبدو العالم بناظره صحراء مقفرة تخلو من كل بهجة للحياة.

تسوقه قدماه إلى مقهى صغير تحتضنه الأشجار من كل جانب في حنان أخّاذ، يدرك حين يراه أنه منهك من طيلة المسير.

يجلس إلى طاولة بعيدة ووحيدة مثله.. يحتسي قدحًا من الشاي لعله يعوضه عن دفء همساتها التى غابت عنه.

فجأة وبدون مقدمات ينتابه ذلك الشعور مرة أخرى.

رائحتها وأنفاسها ونبضاتها يحاصرونه من كل جهة حتى تمنى لو يحمله بساط الريح إلى حيث ملتقاهم.. هناك في منزله. لم يكن

يدرك حينها أن هناك هو الحلم، وأما هنا فهو الحقيقة التي على بعد خطوات منه.

كانت تجلس منذ ساعات منتظرة مجيئه إليها هذه الليلة وسمعت وقع أقدامه وهو يتقدم بخطًا بائسةً ملؤها التيه كطفل غابت عنه أمه في الزحام.

ما إن رأته يعبر من باب المقهى ويجول بنظره في الأرجاء حتى أشفقت عليه من هذا الحزن الصارخ من عينيه.. لم يلحظ قبل الآن وجود أحد غيره في المكان.

تلفت حوله فإذا بامرأة فائض سحرها تجلس وحيدة هى الاخرى، وقد تمردت خصلات شعرها البني كأمواج نهر ثائر.

يتساءل في نفسه: ماذا لو أن كلينا شاطر الآخر وحدته وفنجانًا من القهوة؟!

يقوم ليتجه إليها ولا يزال شعوره بقربها يملك عليه كل حواسه، يقول لها بصوت ملؤه الشجن:

- أتمانعين إن جلست إليك نتجاذب أطراف الحديث؟

لم يكد ينتهي من سؤاله حتى شعر بحنين إليها وكأنها بعض منه.. رغبة جامحة في أن يلقي بنفسه بين ذراعيها ويطلق سراح عبرات تختنق بين جفنيه كمن عاد أخيرًا إلى أحضان الوطن، حقًا فما الوطن إلا امرأة بنكهة الحياة.

تجيبه بدون كلمات لتأسره نظرة عينيها اللتين تحملان حكايا الحب والأنين، دفؤها يسري في جسده حينما تتشابك أصابعهما.

يخرجان معًا من الباب وكل منهما يريد أن يأوي إلى الآخر..
دار بينهما حوار لغته الصمت وكلماته الشعور حتى وصلا إلى منزله القريب من المقهى.. يريد لمخدع الحلم أن يشهد على الحقيقة.
يحتضنها ويهمس:
- بحثت عنك كثيرًا واشتقت إليك أكثر.
- ها أنا ذا بين ذراعيك، خبئني داخل صدرك فأنا لم أعد أحتمل الحياة.
- خذيني وافعلي بي ما شئت، وكوني لي صديقة أبدية وامرأة استثنائية في حياتي، كوني سماءً تتسع لآهاتي وعذاباتي، كوني حرة واتركيني حرًا، فأنا رجل يهوى النساء.
- أنت حر، وأنا امرأة من بين النساء، أحببنا جميعًا أو أحبني فقط أو اكرهني إن شئت.
تحررت تنهيدة من قلبه وعبرة من عينيها..
يقول: لا تبكي يا صديقتي، أنا موجود لأجلك فكوني بخير لأجلي.. كوني قوية ووفية لوعد قلبك.
- سأحبك كل ليلة كما لم تعشقك امرأة من قبل، وسأنساك كل صباح.
- وماذا إن اشتقت إليك ذات صباح؟
- أغمض عينيك.. تراني.